Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-796X

vol 38 No.1 June. 2022

مجلة آداب ذي قار
Thi Qar Arts Journal

كلمة الامام علي (عليه السلام) عند دفن فاطمة الزهراء عزاء النفس وبلاغة الصبر

The speech of Imam Ali (peace be upon him) at the burial of Fatimah al-Zahra, a consolation for the soul and the eloquence of patience

أ.د سوادي فرج مكلف

Prof. PhD Sawadi Farag is expensive

Basra University - College of Education for Human Sciences

Abstract

The contemplation of the speech of Imam Ali, peace be upon him, when he was buried Fatimah al-Zahra, the leader of the women of the worlds, is carried away by the imagination in the atmosphere that accompanied this painful event, and was the cause of the painful fate that led to this prophetic basil, and hastened to pick it while she was in the prime of life and the freshness of youth. The imam, peace be upon him, depicted this tragic event, with his skillful brushstroke and clear statement, in a way that shakes feelings and breaks hearts. Every time I read this word, I was astonished, and I was suffocated by grief and grief over the injustice, oppression and aggression that the pure people of the Messenger, may God bless him and his family, are subjected to.

Therefore, you found me motivated to research this matter, and analyze the text that tells the circumstances and mysteries of this subject, which is filled with many lessons and lessons. And what I sought to do is nothing more than a critical reading of one of the texts of Nahj al-Balaghah of the Commander of the Faithful and the master of rhetoricians, Imam Ali bin Abi Talib, peace be upon him, because of the literary features of this text in the art of speech and the aesthetics of expression, and we are certain that no matter how we try to probe It is the imam's speech, and no matter how hard we try to approach its tight texture and language that is burdened with many meanings and connotations, we do not reach that lofty peak that the imam reached in terms of proficiency, beauty of formulation, accuracy of expression, soundness of logic, kindness of sign and manifestations of faith.

Keywords: The beauty of the wording, the accuracy of expression, the integrity of logic, and the kindness of the sign

معلومات البحث

تاريخ الاستلام : ٢٠٢٢/٣/٨

تاريخ قبول النشر : ٢٠٢٢/٤/٣

متوفر على الانترنت : ٢٠٢٢/٦/٢٩

الكلمات المفتاحية :

جمال الصياغة ودقة التعبير وسلامة المنطق ولطف الإشارة

المراسلة :

د. سوادي فرج

النص:

السلام عليك يا رسول الله عني، وعن ابنتك النازلة في جوارك والسريعة اللحاق بك! قلَّ يا رسول الله عن صفيتك صبري، ورق عنها تجلدي، الا ان لي في التأسي بعظيم فرقتك، وفادح مصيبتك موضع تعزٍ. فلقد وسدتك في ملحودة قبرك، وفاضت بين نحري وصدري نفسك، فانا لله وانا اليه راجعون! فلقد استرجعت الوديعة ،واخذت الرهينة! أما حزني فسرمد وأما ليلي فمسهد، الى ان يختار الله لي دارك التي انت بها مقيم. وستنبئك ابنتك بتضافر امتك على هضمها، فأحفها السؤال واستخبرها الحال. هذا ولم يطل العهد، ولم يخل منك الذكر. والسلام عليكما سلام مودع لا قال ولا سئم. فإن انصرف فلا عن ملالة، وان أقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين.

المصادر:

شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج11/265

شرح نهج البلاغة لكمال الدين بن ميثم البحراني ص 629

نهج البلاغة شرح الشيخ محمد عبده ج2/182

المقدمة:

ان المتامل في كلمة الامام علي عليه السلام عند دفنه فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين يطوف به الخيال بعيدا في تلك الأجواء التي رافقت هذه الواقعة الأليمة، وكانت سببا في المصير المؤلم الذي اودى بهذه الريحانة النبوية، وتعجل في قطفها وهي في مقتبل العمر وطراوة الشباب. وقد رسم الامام عليه السلام بريشته البارعة وبيانه الناصع هذا الحدث الفاجع بصورة تهتز لها المشاعر، وتنفطر لها القلوب. وكنت كلما قرأت هذه الكلمة ينتابني الذهول، وتخنقني الحسرة والكمد على ما يتعرض له الاطهار من ال الرسول صلى الله عليه واله من ظلم وجور وعدوان. ولذا وجدتني مدفوعا الى البحث في هذا الامر، وتحليل النص الذي يحكي ملابسات وغوائل هذا الموضوع المضرج بالكثير من العبر والدروس. وان ما سعيت الى القيام به لا يعدو كونه يمثل قراءة نقدية في نص من نصوص نهج البلاغة لامير المؤمنين وسيد البلغاء الامام علي بن ابي طالب عليه السلام، لما يتسم به هذا النص من سمات الأدبية في فن القول وجمالية التعبير، ويقينا اننا مهما حاولنا ان نسبر كنه كلام الامام، ومهما اجتهدنا في محاولة الاقتراب من نسيجه المحكم ولغته المثقلة بالكثير من المعاني والدلالات، فاننا لا نصل الى تلك القمة السامقة التي بلغها الامام في الاجادة وجمال الصياغة ودقة التعبير وسلامة المنطق ولطف الإشارة وتجليات الايمان.

وقد اعتمدنا في هذه الكلمة للامام عليه السلام على النص الذي أورده كل من ابن ابي الحديد في شرحه وكمال الدين بن ميثم البحراني في شرحه والشيخ محمد عبده كذلك. وهناك روايات أخرى لنص هذه الكلمة أوردتها كثير من المصادر القديمة فيها بعض الإضافات والجمل

التي تجري في هذا السياق، وتتوسع في الحديث عن هذه الواقعة الأليمة، ولكننا ارتأينا ان نعتمد نصا لم نجد فيه أي اختلاف في المصادر المشار اليها.

لطف المناجاة وجمالية الخطاب :

يبدأ الامام كلامه بإلقاء التحية والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله هذا السلام الذي اصبح خطابا له قواعده واصوله التي لا بد من مراعاتها عندما يقوم المسلم بزيارة قبور أولياء الله الصالحين وفي مقدمتهم محمد بن عبد الله رسول الله وخاتم الرسل والانبياء اجمعين عليهم صلوات الله وسلامه. ثم يعلن الامام عليه السلام بان هذا السلام انما يصدر عنه شخصيا وعن ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله حتى ولو كانت فاقدة للحياة والروح الا انها ترى وتسمع، ولديها المقدرة الربانية على التعبير، بلسان الحال، عن وصف ما جرى لها بعد وفاة ابيها وكان سببا في رحيلها عن الدنيا وهي في زهرة العمر وريعان الشباب .ان امير المؤمنين حينما توجه بسلامه الى رسول الله صلى الله عليه وآله لم يستثنِ فاطمة عليها السلام من ان تشاركه في زيارة قبر ابيها ومن ثم القاء التحية عليه والسلام على مرقده الشريف الطاهر، الذي أصبحت في جواره ولحقت به.

ونجد في هذه الكلمة ظاهرة التناص مع القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وملامح مما اشتمل عليه الشعر القديم من معانٍ ومفاهيم صارت متداولة بين الناس واتخذت طابع الشيوع والذيوع. ان الامام عليه السلام اختار للزهراء وصفا يليق بها تماما حينما قال : ((قل عن صفيتك صبري ...)) وهذا الوصف تشهد به كثير من المواقف التي خص بها الرسول الكريم ابنته بعظيم المحبة والحفاوة والتبجيل والتكريم، وافاض عليها من عبارات الثناء، ومزايا التفرد وسمو المكانة عند الله سبحانه وتعالى ما جعلها تستحق ان تكون صفية والدها والاثيرة لدية، ومن هذه المواقف ما روي عن عائشة انها قالت : ((ما رأيت أحدا كان اشبه كلاما وحديثا برسول الله صلى الله عليه وآله من فاطمة، وكانت اذا دخلت عليه رحب بها وقام اليها فأخذ بيدها وقبلها واجلسها في مجلسه))[1] وهذا الموقف اقتبسه الامام عليه السلام من الآية الكريمة التي كان الخطاب فيها موجها الى مريم العذراء وهي قوله ((وإذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين))[2]، فكما كان الله سبحانه قد اصطفى مريم على سائر نساء عصرها فإن رسوله الكريم قد اصطفى فاطمة واغدق عليها من عطفه ومحبته.

ومن رقة خطاب الامام عليه السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يتحدث عن فقده هذه الزوجة الطاهرة الكريمة الحسب والنسب الاعتراف بان صبره قلّ وكاد ان يتلاشى وان تجلده قد أصابه الوهن والاعياء حتى اصبح رقيقا جدا لهول هذه المصيبة ووقعها على نفسه ومشاعره، حتى كأنه غاب عنه موقف الشاعرحينما فقد أولاده فقال :

وتجلدي للشامتين أُريهمُ أني لريب الدهر لا اتضعضعُ [3]

ان ((هذا الجمال الطافح بالعاطفة، وهذه القوة في الرقة واللوعة))[4] سمة اسلوبية تميز كلام الامام عليه السلام من كلام الاخرين.

ان هذه الفاجعة التي المت بالإمام اعادت الى ذاكرته الفاجعة التي صدمت مشاعره ووجدانه بفقد خاتم الأنبياء وسيد المرسلين صلى الله عليه وآله، فكلا المصابين اهتز له كيانه وتضعضع له بنيانه لولا يقينه بانه لاحق بهما مهما امتد به العمر، ولولا تحليه بالصبر الجميل والاذعان لقضاء الله وقدره. ان هذا الخيال وهذه العاطفة الشديدة يمتزجان معا في وهج الحياة ((فاذا الفكرة تتحرك وتجري في عروقها الدماء سخية حارة، واذا بها تخاطب فيك الشعور بمقدار ما تخاطب العقل لانطلاقها من العقل الذي تمده العاطفة بالدفء))[5].

ان مصاب الامام بفقد الزهراء لم يكن بأعظم من مصابه بفقد خاتم النبيين وكلتا الفجيعتين اوجعتا قلبه وأدمتا فؤاده، ومحاولة منه عليه السلام للتأسي والتصبر فانه يقرن هذا الموقف الأليم بذلك الموقف الذي لم يمضِ عليه كثير من الوقت ويتخذ منه موضع تعزٍ؛ فقد اشرف بنفسه أيضا على مراسيم دفن الجثمان الطاهر لرسول الله صلى الله عليه وآله واودعه في ملحودة قبره وفاضت روحة الطاهرة بين يديه، ومن هنا فان حزنه الشديد على رحيل ابنة رسول الله عليهما السلام لم ينسه حزنه القديم بل حرك في نفسه مكامن الشعور بالمرارة وجسامة الثكل. وقد وصف في موضع آخر من النهج وفاة رسول الله بحضوره فقال : ((وقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وان رأسه لعلى صدري ولقد سالت نفسه في كفي فأمررتها على وجهي. ولقد وليت غسله صلى الله عليه وآله والملائكة اعواني فضجت الدار والافنية ملأ يهبط وملأ يعرج وما فارقت سمعي هينمة منهم، يصلون عليه حتى وارياه في ضريحه. فمن ذا احق به مني حياً وميتاً؟))[6].

انها نفثة مصدور وزفرات من خاطر مكسور وتلخيص لمقدار الهم والحسرة على ما في نفوس الاخرين من النكران والميل الى الظلم وعدم مراعاة المودة لآل الرسول التي جعلها الله سبحانه الأجر الذي لا يطلب غيره لنبيه الكريم حينما خاطبه بقوله : ((قل لا اسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى))[7]، فماذا يفعل اميرالمؤمنين إزاء هذه المنغصات سوى الركون الى الصبر واحتساب ذلك عند الله والامل في جزيل الاجر وعظيم المثوبة. يقول ابن ابي الحديد في شرحه : ((قوله(عن صفيتك) اجلّه صلى الله عليه وآله عن ان يقول : (عن ابنتك) فقال (صفيتك) وهذا من لطيف عبارته، ومحاسن كنايته، يقول عليه السلام : ضعف جَلَدي وصبري عن فراقها، لكني اتأسى بفراقي لك فاقول : كل عظيم بعد فراقك جلل، وكل خطب بعد موتك يسير))[8]. وقال ايضا : ((قال سلمان الفارسي : دخلت عليه صبيحة يوم قبل اليوم الذي مات فيه، فقال لي : يا سلمان الا تسأل عما كابدته الليلة من الألم والسهر انا وعلي! فقلت : يا رسول الله الا اسهر الليلة معك بدله؟ فقال : لا هو احق بذلك منك))[9].

اما قوله عليه السلام : ((فلقد استرجعت الوديعة واخذت الرهينة)) فالوديعة امانة في عنق من استودعت عنده ومن ثم فلا بد من استرجاعها طال الزمن او قصر، "وهذه علاقات مخزونة في ذاكرة اللغة، وتتداخل مع الكلمة في حالة الابداع وفي حالة التلقي. وتختلف الكلمات في طاقتها المخزونة في ذاكرة الجماعة. وقد يلجأ المبدع أحيانا الى هذا المخزون ليستثمره في اغناء النص وشحنه بدفق ايماني عميق"[10]. وهذه المفردات التي استجلبها الامام عليه السلام في كلمته ورد ذكرها عند الشاعر القديم اذ يقول :

وما المال والاهلون الا وديعة ولا بد يوما ان ترد الودائع[11]

ويقول ابن ابي الحديد في شرحه : "فأما الرهينة فهي المرتهنة، يقال للمذكر : هذا رهين عندي على كذا، وللأنثى : هذه رهينة عندي على كذا، كأنها عليها السلام كانت عنده عوضا من رؤية رسول الله صلى الله عليه وآله كما تكون الرهينة عوضا عن الامر الذي اخذت رهينة عليه"[12].

اما السجع الذي كان سمة غالبة في عصر الامام عليه السلام فقد زين به الامام نصه بشكل عفوي لا تكلف فيه ولا ثقل مما يؤدي الى ملل المتلقي عند تكراره والاكثار منه، فإنما جاء في سياق جمل قليلة لتزيين الكلام بجماليته التي تصله بما كان مألوفا عند العرب بما يسمى بالتقفية في الشعر. وكما هو معروف ويكاد يجمع عليه نقاد الادب ان الامام عليه السلام كان شاعرا وله الكثير

من القصائد التي نظمها في مناسبات شتى وفي موضوعات مختلفة؛ ولكننا نخالفهم فيما ذهبوا اليه، ونعتقد، ولأسباب كثيرة، بأن الامام عليه السلام لم يقل الشعر ولم يهم في وديانه، وان ما يورده من ابيات في بعض خطبه فإنما يأتي به استشهادا وتمثلا لتعزيز المعنى الذي يريده وتقوية الفكرة التي ينوي التعبير عنها[13].

ومن هنا نجد ان الكاتب المصري عباس محمود العقاد قد ذهب به الوهم بعيدا حينما عدّ الامام شاعرا وان شاعريته ليست بالمستوى المتقدم في تجويد الشعر والتفنن فيه اذ يقول : "وعندنا انه رضي الله عنه كان ينظم الشعر ويحسن النظر فيه ... لكنه رضي الله عنه لم يرزق ملكة الاجادة في شعره، والنبي عليه السلام يرى ذلك حيث سألوه ان يأذن لعلي في هجاء المشركين فقال (ليس بذاك)" ... [14].

ونظن ان رواية هذا الكلام لا تخلو من مظنة الزراية بحق الامام عليه السلام والانتقاص من مكانته وسمو ذاته.

وفي هذه المناجاة الشاكية يبدو واضحا اثر القرآن الكريم واحتذاء أسلوبه وتوظيف بعض المفردات التي تتضح صلتها بما ورد فيه، وقد اعترف بذلك عباس محمود العقاد في سياق حديثه عن الأسلوب الادبي الذي تميز به كلام الامام عليه السلام فقال : "فاستقام له أسلوب مطبوع مصنوع (كذا)، هو فيما نرى اول أساليب الانشاء الفني في اللغة العربية، وأول أسلوب ظهرت فيه اثار دراسة القرآن والاستفادة من قدوته وسياقه، وتأتى له بسليقته الأدبية ان يأخذ من فحولة البداوة ومن تهذيب الحضارة، ومن أنماط التفكير الجديد الذي ابدعته المعرفة الدينية والثقافة الإسلامية"[15].

ويستمر الامام عليه السلام في التعبير عن الم الفاجعة التي المت به وماتركته من حزن واسىً لا ينتهي ولا يتوقف فهو سرمدي وشح ليله بالكآبة والسواد لفقد سيدة نساء العالمين من الاولين والاخرين اذ قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حقها : "فاطمة سيدة نساء العالمين"[16].

وقد يعجب الدارس لوصف ابن ابي الحديد حزن الامام السرمدي بأنه من باب المبالغة التي يلجأ اليها الشعراء والخطباء في كلامهم، وكأنه يعد الامام عليه السلام واحدا من الناس الذين تجوز عليهم الغفلة والسهو عما يمرون به من احداث الحياة واحزانها؛ واني لعلى يقين بأن حياة الامام عليه السلام وحدة ذهنه وتوقد فطنته ورجاحة عقله وسمو شمائله وتفرد كمالاته مما لا يسمح

لواصف ان ينعته بالغفلة او السهو او السلوان عن أمثال هذه الحوادث الجسام التي تعرض لها في حياته، وجعلته يحزن ذلك الحزن السرمدي.

وفي تعضيد رأيه عليه السلام في تآمر الاخرين على ظلمها اوكل مهمة اخبار رسول الله صلى الله عليه وآله بهذا الامر الى ابنته عليها السلام، فإنها ستواجه اباها وتلتقي به ومن ثم فهي اقوى دليل واصدق شهادة على ما حصل معها واودى بها.

وقوله (تضافر امتك) فيه إشارة وتجسيد لملامح صورة صادمة من المجتمع الإسلامي الذي اخلص له الرسول الكريم في الدعوة الى مكارم الاخلاق، والحث على التمسك بتعاليم الإسلام، والعمل بما نزل عليه من القرآن الكريم ،وتعرض من جراء ذلك الى بلاء عظيم ومخاطر جسام للوصول الى تحقيق هذه الأهداف، وتكوين هذه الجماعة من الناس التي آمنت، ظاهريا، بما دعا اليه حتى انه صلى الله عليه وآله اطلق عليهم في مناسبات عدة كلمة (امتي) املا في مراعاة منزلته عندهم، الا انهم اخلفوه ما وعدوا، واظهروا له خلاف ما تصرح به الآية الكريمة وهي قوله تعالى "هل جزاء الاحسان إلا الاحسان" الرحمن/٦٠.

اما قوله عليه السلام : (فـأحفها السؤال واستخبرها الحال) "أي استقصِ في مسألتها ... احفيت احفاءً في السؤال : استقصيت، وكذلك في الحِجاج والمنازعة، قال الحارث بن حلزة :

ان إخواننا الاراقم يغلو نَ علينا في قيلهم إحفاءُ

ورجل حفي، أي مستقص في السؤال"[17] وفي أساس البلاغة للزمخشري : "احفى في السؤال : ألحف. وسائل محفٍ مجحف : ملحٌ ملحف. واحفيت اليه في الوصية :

بالغت. وهو حفيٌ عن الامر : بليغ في السؤال عنه ... وقال الاعشى :

فإن تسألي عني فيا رب سائل حفيٍ عن الاعشى به حيث اصعدا

واستحفيته عن كذا : استخبرته على وجه المبالغة. وتحفى بي فلان وحفي بي حفاوة اذا تلطف بك، وبالغ في اكرامك، وهو حسن التحفي بقومه وحفي بهم" ... [18].

وهذه المفردة وردت في القرآن الكريم في اكثر من موضع وبصيغ مختلفة منها قوله : "إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج اضغانكم"[19] وقوله : "يسألونك كأنك حفي عنها"[21] وقوله : "سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا"[21]. وقد وظف الامام عليه السلام هذه المفردة القرآنية بما ينسجم مع الفكرة التي قدحت في خاطره وامتلأ بها وجدانه. ونحن نعلم ان التناص مع القرآن يكون الهدف منه اغناء الفكرة وتعميقها، فضلا عن إعطاء النص مسحة جمالية تشد القارئ وتمنحه زيادة في الفهم واحساسا بلطف الخطاب.

ان للامام عليه السلام مقدرة متميزة في عملية التناص، اذ يقتطع النص القرآني او الحديث النبوي ويدخله في سياق متحرك جديد فيصبح خلاصة لما لا يحصى من النصوص قبله، "ان التركيب الصوتي للمفردات والجمل ضمن بنية نسيجية محكمة يستجلب معه مسحة جمالية لا تقل في تأثيرها عن الكشف الدلالي في النص، فالنص الادبي له قدرة خلق الأثر الجمالي المستحصل بالمعاني والالفاظ مثلما له القدرة على خلق الأثر الدلالي، لا سيما اذا ما عدنا الى غايتي العمل الادبي وهما الافهام والاقناع، والجانب الصوتي يسهم في تنامي الأثر الدلالي عند المتلقي ومقدرته الايحائية، وهو الجامع بين استكمال المعنى وتزيين المبنى"[22].

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-796X

vol 3 No.1 June. 2022

وفي شرحه لهذه العبارة يقول ابن ابي الحديد : "واستخبرها الحال أي عن الحال، فحذف الجار كقولك : اخترت الرجال زيداً أي من الرجال، أي سلها عما جرى بعدك من الاستبداد"[23] بحقها والظلم لها ولأهل بيتها، ولهذا كانت هذه الكلمات بمثابة الشكوى المرة والتألم الحاد والمناجاة الممزوجة بالتوجع والحسرة.

لقد "عمد الامام الى اقتباس المفردة القرآنية لعمق دلالتها ولقدسيتها في نفس المتلقي ولقدرتها على بث المعاني والدلالات المكتنزة فيها وحملها للمعاني التي يطول شرحها اذا أراد المتكلم العادي التعبير عن مثل هذه المعاني التي أرادها القرآن، لم يصل الى بغيته الا بلفظ أطول واقل دلالة"[24].

وفي قول الامام (الى ان يختار الله لي دارك التي انت بها مقيم) إشارة منه عليه السلام الى انه كما كان ملازما لرسول الله صلى الله عليه وآله في الدنيا فانه سوف يقيم معه في داره التي يؤول اليها بعد رحيله من الدنيا. وهذه الملازمة والرفقة تشير اليها كثير من الاحاديث النبوية الشريفة ومنها : (يا علي انا وانت ابوا هذه الامة) وقوله (انا وانت من شجرة واحدة وسائر الناس من شجر شتى) وقوله (انت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي)[25]. وبهذا يتضح للقارئ مدى الدقة في تركيب العبارة ورمزية الدلالة المعنوية التي يؤدي اليها كلامه عليه السلام.

وقد يخامر القارئ وهو يقرأ قوله عليه السلام (الى ان يختار الله لي دارك التي انت بها مميم) الظن الذي يصور له الامام وكأنه يتمنى الموت والخلاص من كيد المعاصرين له ممن قلبوا له ظهر المجن، وتألبوا عليه، ونكثوا وعودهم، واعلنوا له الجفاء والعداء بعدما كانوا يعاملونه بالحسنى في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، ولكن الامام يترك امر رحيله من الدنيا والمكوث في جوار الرسول الكريم الى إرادة الله سبحانه ومشيئته خشية من ان يعترض خياله عارض من الجزع او قلة الصبر.

وفي قوله عليه السلام (هذا ولم يطل العهد ولم يخلُ منك الذكرُ) تستوقفنا لفظتان وهما (العهد) و (الذكر) وقد لا نذهب بعيدا حينما نجدهما صدىً لما في القرآن الكريم من مثل قوله تعالى : "أفطال عليكم العهدُ أم اردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم"،[٢٦]

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-796X

vol 3 No.1 June. 2022

وقوله "إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب"(٢٧)
فقد كانت آيات القرآن والفاظه الزاد الروحي الذي يستقي منه الامام عليه السلام ويصدر عنه، ويلوذ به كلما حزبه امر او ضاقت به سبل الحياة.

وختم الامام كلمته بسلام التوديع الذي توجه به الى كليهما فهما عنده بمنزلة واحدة من التبجيل والتعظيم، معلناً انه حينما ينوي القفول والعودة فلا عن قلىً او كره لهما ولا عن سأم او ملالة من المكوث بقربهما، وان انصرافه عنهما او اقامته بحضرتهما انما هو بطلب العزاء لنفسه ورجاء الثواب والاجر العظيم من الله العلي القدير الذي وعد الصابرين وعدا حسناً من عنده، وان هذا التوديع ليس بعيدا في طريقة صياغة كلماته وتركيبها عن قوله تعالى "ما ودعك ربك وما قلى"(28) فقد خالط أسلوب القرآن كلامه عليه السلام وجرت معانيه والفاظه في عروقه فلا يفارقها عند تصوير لواعجه وهمومه، "ان الانسان المسلم عند تلاوته او تلقيه للقرآن يرى نفسه في محضر الخطاب الإلهي والكلام الصادر عن الحقيقة الإلهية لاجل هداية عقله وروحه من ظلمة عالم الطبيعة الى النور اللا متناهي، ولذا فانه يشاهد في كل سطر حقيقة تنكشف امامه ورسالة جديدة من كتاب المحبة الإلهية لهذا الانسان"(29).

ان الامام عليه السلام لم يذرف الدموع ولم يتمكن الجزع منه حتى ولو قال (قل صبري ورق تجلدي) فان صبره لم تلاشَ ولم يضمحل وان جلده باقٍ لا تزعزعه حوادث الدنيا ومصيباتها، وكيف ينفد صبره وقد قال في ختام كلمته بانه لا تذهب به الظنون بما وعد الله الصابرين. يقول توشيهيكو ايزوتسو" : يجب ان تكون صورة اليوم الفاصل قائمة دوما امام عيون البشر، على ذلك النحو الذي يفترض به ان يؤدي بهم الى الجدية في الحياة، بدلا من الغفلة والطيش، وهذه هي السمة السائدة للتقوى الإسلامية. ولا يمكن لكل من يقرأ القرآن ان يخطئ ان سمة الجدية المطلقة في الحياة المتأتية من قرب مجيء يوم القيامة، كانت قوية على نحو خاص في المرحلة المكية، وهذه هي التقوى في معناها الأصلي "(٣٠).

في ميزان الادب:

واذا عقدنا شيئا من الموازنة بين كلام الامام وبعض من نصوص الادب التي يحفل بها تراثنا العربي، فسيتضح لنا مقدار التباين والاختلاف فيما يصوغه الامام من العبارات والجمل، وما يأتي به الادباء والشعراء من تراكيب وجمل يعبرون بها عما يعترض حياتهم من الحوادث.
من هنا نستطيع ان نتلمس الفارق بين كلامه عليه السلام وابيات الشريف الرضي، مثلا، حينما مرّ بديار احبته الذين رحلوا عنها فقال:

ولمد مررت على ديارهمو وطلولها بيد البلى نهبُ
فوقفت حتى ضج من لغبٍ نضوي ولج بعذلي الركبُ
وتلفتت عيني فمذ خفيت عنها الطلول تلفت القلبُ(31)

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-796X

vol 3 No.1 June. 2022

فقد جاء مروره بديار احبته مصادفة ومن دون قصد منه، وعندما رأى اطلالهم هاجت به الذكرى، وفاضت عبرته، مما جعل صحبه يلومونه على ما حل بجسمه من الضعف والتهالك من هذا الموقف، وكان حريا به ان يعبر عن تصبره، وان يستشرف العبرة من هذا الرحيل ولكنه لم يفعل، وترك نفسه نهبا للهواجس والظنون.

ولعلنا نستطيع بعد عرضنا لدوافع هذه الكلمة الموجزة والمعبرة والحافلة بالكثير من المعاني والدلالات والمواقف المؤرقة ان نعدها (شقشقة هدرت ثم قرت) على حد وصفه عليه السلام لإحدى خطبه(32).

وفي المحصلة النهائية لهذه الوقفة الفاحصة لكلمة الامام عليه السلام يجدر بنا ان نأتي بخلاصة تجسد لنا مقدار الفارق الكبير بين دلالات هذه المناجاة وما يقوله الشعراء في ندبهم لمن يفقدونهم من احبابهم وذويهم. ولعل المتنبي خير شاهد على ذلك حيث يقول في احدى قصائده التي تجري في هذا السياق:

ابداً تسترد ما تهب الدنـ يا فياليت جودها كان بخلا(33)

فهو يلوم الدنيا ويوجه اليها أصابع الاتهام اذ تمنح للناس هباتها ثم تعود فتستردها منهم بعد ان كانوا فرحين بها غير حاسبين لهذه النهاية أي حساب. فانظر معي كيف يكون التميز وكيف تخط العبقرية تفردها وتصوغ ابداعها وتشكل بلاغتها البارعة .

وقد صدق الشيخ محمد عبده حينما وصف كلام الامام عليه السلام بانه "عليه مسحة من العلم الإلهي وفيه عبقة من الكلام النبوي"(34).

مقتطفات من شرح البحراني:

وقبل ان ينتهي بنا المطاف في هذه الجولة مع كلمة الامام عليه السلام يجمل بنا ان نورد هنا نصوصا مقتطفة من شرح كمال الدين بن ميثم البحراني لكلمة الامام هذه اتماما للفائدة ولكي تتضح امام القارئ دلالات النص المدروس وابعاده العميقة بشكل اوفى يقول : "مسهد : مؤرق، واحفها السؤال : استقص عليها فيه. فاما قول السيد (رضي الله تعالى عنه) سيدة النساء، فقد جاء في الخبر انه رآها تبكي عند موته فقال لها : اما ترضين ان تكوني سيدة نساء هذه الامة، وروي انه قال : سادات نساء العالمين اربع : خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسيا بنت مزاحم، ومريم بنت عمران. والسلام منه عليه السلام على الرسول صلى الله عليه وآله كعادة الزائرين، لكن الزيارة هنا قلبية، وعنها كالمستأذن لها في الدخول عليه وجوارها له : أي في منازل الجنة. واما سرعة لحاقها به ففائدة ذكرها التشكي اليه من سرعة تواتر المصائب عليه بموته ولحوقها عقيبه، والمنقول ان مدة حياتها بعده صلى الله عليه وآله أربعة اشهر، وقيل ستة اشهر. ثم اخذ في التشكي اليه كالمخاطب له من قلة صبره ورقة تجلده وتحمله للمصيبة بها. وفي قوله : صفيتك، إشارة الى ما كان لرسول الله صلى الله عليه وآله من التبجيل والمحبة والاكرام. وقوله : الا ان لي، الى قوله : موضع تعزٍ،

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-796X

vol 3 No.1 June. 2022

كالعذر والتسلية وان كانت هذه المصيبة عظيمة يقل لها الصبر ويرق لها التجلد فان المصيبة بفراقك اعظم، وكما صبرت في تلك على كونها اشد فلئن اصبر على هذه أولى. والتأسي الاقتداء بالصبر في هذه المصيبة كالصبر في تلك ... وقوله : فلقد استرجعت الوديعة الى قوله الرهينة ،استعار لفظ الوديعة والرهينة لتلك النفس، ووجه الاستعارة الأولى ان النفوس في هذه الابدان تشبه الودائع والامانات في كونها تسترجع الى عاملها في وجوب المحافظة عليها من المهلكات. ويحتمل ان يريد ما هو المتعارف بين الناس من كون المرأة وديعة الرجل كما يقال النساء ودائع الكرام، ووجه الثانية ان كل نفس رهينة على الوفاء بالميثاق الذي واثقها الله تعالى به، والعهد الذي اخذ عليها حين الاهباط الى عالم الحس والخيال ان ترجع اليه سالمة من سخطه عاملة بأوامره غير منحرفة من صراطه ..."[35].

وبهذه الطريقة من الشرح والتحليل يحاول البحراني التوسع في الوقوف عند المعاني التي تدور حولها كلمة الامام عليه السلام والقاء الضوء على الدلالات التي توحي بها وترمي اليها. ولعل القارئ يرى ان ما وقف عنده الشارح لا يختلف كثيرا عما افاده الشراح الاخرون اللهم الا في بعض الجوانب التي يكاد ان ينفرد بها ويتخذ منها منطلقا لرؤية مستقلة وفهم خاص لما تنطوي عليه كلمة الامام عليه السلام من المرامي والاهداف.

والله اعلم بما في نفوس اوليائه الصالحين من الإخلاص والاذعان له سبحانه وبلوغ المنازل الرفيعة من التجرد والخضوع والانابة، والحمد لله رب العالمين.

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-796X

vol 3 No.1 June. 2022

الخاتمة:

من خلال هذه الوقفة المتأنية والاستنطاق المتواضع لكلمة سيد البلغاء وامام الاوصياء وهو يودع البتول سيدة النساء في رحيلها الى ربها والتحاقها بالملأ الأعلى، يتضح لنا مقدار ما تركه هذا الرحيل الفاجع من فراغ كبير، واسىً بالغ، وحسرة شاكية في نفسه المطمئنة الى قضاء الله وقدره، والرضى بما تقدره المشيئة الربانية. وقد صاغ هذا الموقف وعبر عنه باسلوبه البليغ وكلامه المكتنز بفنون الابداع والبلاغة المتعالية. وقد رسم عليه السلام هذا الموقف بدقة متناهية في جمالية التعبير ولطف الخطاب، وبأسلوب المناجاة والشكوى وتصوير الصدمة النفسية ولواعج الحزن العميق الذي لم يجد ازاءه بداً من الإذعان والتسليم لارادة الله سبحانه واحتساب الاجر عنده. وكانت هذه الفاجعة فرصة لمخاطبة رسول الله صلى الله عليه وآله، والقاء التحية عليه، وبثه حزنه، والبوح بمكنون ضميره، والتلميح له بان ابنته الطاهرة انما تعرضت لظلم الناس وجورهم ونكرانهم لفضل ابيها عليهم، وفضل بعلها في الذود عن حياض الإسلام واعلاء كلمة التوحيد. وكان الركون الى التصبر والعزاء واستذكار بعض الدلائل القرآنية وشذرات من معاني اللغة العربية وادبها، الاطار الذي وردت في طياته هذه الكلمة الموجزة في الالفاظ والمكثفة في حشد المعاني المتوخاة والاهداف السامية، والاكتفاء بالتلميح دون التصريح، وبالإشارة دون الإعلان السافر عما شهده من الجحود والنكران.

الاحالات:

(١) فضائل فاطمة الزهراء : الحاكم النيسابوري ص٤٠-41، 52 وينظر :
فاطمة الزهراء (سلسلة اهل البيت) : توفيق أبو علم ص82-99

فاطمة الزهراء من المهد الى اللحد : السيد محمد كاظم القزويني ص146-156.

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-796X

vol 3 No.1 June. 2022

(٢) آل عمران/42

(٣) ديوان ابي ذؤيب الهذلي، تحقيق د. احمد خليل الشال ص٥٠

(٤) الامام علي صوت العدالة الإنسانية : جورج جرداق ص٢٩٠

(٥) المصدر نفسه ص289

(٦) نهج البلاغة شرح الشيخ محمد عبده ج2/172

(٧) الشورى/23

(٨) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج١٠/266

(٩) المصدر نفسه ١٠/267

(١٠) الخطيئة والتكفير : د. عبدالله الغذامي ص37

(١١) شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري ص١٧٠

(١٢) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج١٠/269

(١٣) ينظر : العصمة من الشعر : د. مهدي حارث الغانمي ص155-١٩٠

وفي هذا الكتاب دراسة وافية لهذا الموضوع وتفصيل دقيق لهذا الامر وعرض واسع لمختلف جوانبه من اجل الوصول الى الاقتناع التام بنفي الشعر عن الامام وانه ليس به حاجة الى ان يكون شاعرا، وما الابيات التي نسبت اليه او القصائد التي جمعت فيما يسمى بـ (ديوان الامام علي) الا نصوص لشعراء اخرين أضيفت اليه لاسباب ذكرها المؤلف، مما يجعلنا نميل الى الاعتقاد بصواب ما بسطه من الآراء.

(١٤) عبقرية الامام علي : عباس محمود العقاد ص115-116

(١٥) المصدر نفسه ص١٢٠

(١٦) فضائل فاطمة الزهراء : الحاكم النيسابوري ص47

(١٧) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج١٠/269

(١٨) أساس البلاغة للزمخشري ص153-154

(١٩) محمد/ 37

(٢٠) الأعراف/187

(٢١) مريم/47

(٢٢) الاقتباس والتضمين في نهج البلاغة (أطروحة دكتوراه) ص98

(٢٣) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج١٠/٢٧٠

(٢٤) الاقتباس والتضمين في نهج البلاغة ص122

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-796X

vol 3 No.1 June. 2022

(٢٥) ينظر : ينابيع المودة للقندوزي ص52-92

(٢٦) طه/86

(٢٧) يس/11. وقد احصيت لفظة (ذكر) ومشتقاتها في القرآن الكريم فوجدتها تكررت فيما يربو على(٦٠) مرة، مما يدلل على أهميتها وتنوع دلالاتها.

(٢٨) الضحى/3

(٢٩) تحليل لغة القرآن وأساليب فهمه ص427

(٣٠) الله والانسان في القرآن ص361

(٣١) ديوان الشريف الرضي ج1/145

(٣٢) ينظر : نهج البلاغة شرح الشيخ محمد عبده ج1/37

(٣٣) شرح ديوان المتنبي، وضعه عبدالرحمن البرقوقي ج3/٢٥٠

(٣٤) نهج البلاغة شرح الشيخ محمد عبده ج1/11

(٣٥) شرح نهج البلاغة : كمال الدين بن ميثم البحراني ص629-٦٣٠

مصادر البحث:

- القرآن الكريم

١. أساس البلاغة : جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت538هـ) دار احياء التراث العربي، بيروت/٢٠٠١

٢. الاقتباس والتضمين في نهج البلاغة دراسة اسلوبية (أطروحة دكتوراه) :
كاظم عبد فريح المولى. جامعة البصرة /٢٠٠٦

٣. الامام علي صوت العدالة الإنسانية : جورج جرداق، اختصره وحققه حسن حميد السنيد. المجمع العالمي لأهل البيت/1424هـ

٤. تحليل لغة القرآن وأساليب فهمه : د. محمد باقر سعيدي روشن، ترجمة علي عباس الموسوي. دار الولاء، بيروت/٢٠١٤

٥. الخطيئة والتكفير، من البنيوية الى التشريحية، نظرية وتطبيق : عبدالله محمد الغذامي المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط6/٢٠٠٦

٦. ديوان ابي ذؤيب الهذلي، تحقيق وتخريج : د. احمد خليل الشال، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، بورسعيد مصر/٢٠١٤

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-796X

vol 3 No.1 June. 2022

٧. ديوان الشريف الرضي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت (د.ت)
٨. شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري : حققه وقدم له الدكتور احسان عباس . الكويت/1962
٩. شرح ديوان المتنبي، وضعه عبدالرحمن البرقوقي. دار الكتاب العربي، بيروت/1986
١٠. شرح نهج البلاغة : ابن ابي الحديد، عزالدين عبدالحميد بن هبة الله المدائني (ت 656هـ) تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت/1987
١١. شرح نهج البلاغة : كمال الدين بن ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت 679هـ)، دار الحبيب، قم/1386هـ، ط2/١٤٣٠هـ ق
١٢. عبقرية الامام علي : عباس محمود العقاد، شركة نهضة مصر ط8/٢٠٠٦
١٣. العصمة من الشعر، قراءة نافية في الشعر المنسوب الى الامام علي عليه السلام : د. مهدي حارث الغانمي، دار المدينة الفاضلة، بغداد/٢٠١٢
١٤. فاطمة الزهراء من المهد الى اللحد : السيد محمد كاظم القزويني، منشورات الفجر، بيروت/1392هـ
١٥. فاطمة الزهراء (سلسلة اهل البيت) : توفيق أبو علم، دار المعارف، القاهرة ط9/٢٠١٧
١٦. فضائل فاطمة الزهراء : أبو عبدالله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ) تحقيق : الشيخ الدكتور محمود النعمتي، أصفهان/1438هـ
١٧. الله والانسان في القرآن، علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم : توشيهيكو ايزوتسو ترجمة وتقديم : د. هلال محمد الجهاد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت/٢٠٠٧
١٨. نهج البلاغة شرح الشيخ محمد عبده (ت ١٩٠٥)، دار المعرفة، بيروت/ (د.ت)
١٩. ينابيع المودة : الحافظ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي (ت 1294هـ). المطبعة الحيدرية، النجف ط1/1965

References

- The Holy Quran

1. The basis of rhetoric: Jarallah Abu al-Qasim Mahmoud bin Omar al-Zamakhshari (d. 538 AH) House of Revival of Arab Heritage, Beirut/2001

2. Citation and inclusion in Nahj al-Balaghah, a stylistic study (PhD thesis): Kazem Abdel Freeh Mawla. University of Basra /2006

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-796X

vol 3 No.1 June. 2022

3. Imam Ali, Voice of Human Justice: George Jardaq, shortened and verified by Hassan Hamid Al-Sunaid. The International Assembly of Ahl al-Bayt / 1424 AH

4. Analysis of the language of the Qur'an and methods of understanding it: Dr. Muhammad Baqir Saeedi Roshan, translated by Ali Abbas al-Musawi. The House of Allegiance, Beirut/2014

5. Sin and Atonement, from Structural to Anatomical, Theory and Application: Abdullah Muhammad Al-Ghadami, Arab Cultural Center, Casablanca, Morocco, 6/2006 edition

6. Diwan of Abu Dhaib Al-Hudhali, investigation and graduation: Dr. Ahmed Khalil Al-Shall, Center for Islamic Studies and Research, Port Said, Egypt/2014

7. Diwan Al-Sharif Al-Radi, Al-Alamy Foundation for Publications, Beirut (D.T.)

8. Explanation of the Diwan of Labid bin Rabi'a Al-Amri: edited and presented by Dr. Ihsan Abbas. Kuwait/1962

9. Explanation of Al-Mutanabbi's Diwan, compiled by Abdul Rahman Al-Barqouqi. Arab Book House, Beirut 1986

10. Explanation of Nahj al-Balaghah: Ibn Abi al-Hadid, Izz al-Din Abd al-Hamid Ibn Hebat Allah al-Madani (d. 656 AH) investigation: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Dar al-Jeel, Beirut 1987

11. Explanation of Nahj al-Balaghah: Kamal al-Din bin Maytham bin Ali bin Maytham al-Bahrani (died 679 AH), Dar al-Habib, Qom/1386 AH, i.d. 2/1430 AH

12. The genius of Imam Ali: Abbas Mahmoud Al-Akkad, Nahdet Misr Company, 8th edition/2006

13. The infallibility of poetry, a negative reading in the poetry attributed to Imam Ali, peace be upon him: Dr. Mahdi Harith Al-Ghanimi, Dar Al-Madinah Al-Fadila, Baghdad/2012

14. Fatima al-Zahra from cradle to grave: Mr. Muhammad Kazem al-Qazwini, Al-Fajr Publications, Beirut/1392 AH

15. Fatima al-Zahra (The Ahl al-Bayt Series): Tawfiq Abu Alam, Dar al-Maaref, Cairo, 9th edition 2017

16. Virtues of Fatima al-Zahra: Abu Abdullah Muhammad bin Abdullah al-Hakim al-Nisaburi (died 405 AH) Investigation: Sheikh Dr. Mahmoud al-Namati, Isfahan / 1438 AH

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-796X

vol 3 No.1 June. 2022

17. God and Man in the Qur'an, Semantics of the Qur'anic Vision of the World: Toshihiko Izutsu, Translated and Presented by: Dr. Hilal Muhammad Al-Jihad, Center for Arab Unity Studies, Beirut/2007

18. Nahj al-Balagha, Sharh Sheikh Muhammad Abdo (d. 1905), Dar al-Ma'rifa, Beirut / (d. T.)

19. Springs of affection: Al-Hafiz Suleiman bin Ibrahim Al-Qanduzi Al-Hanafi (d

1294 AH). Al-Haidari Press, Najaf, 7th edition 1965